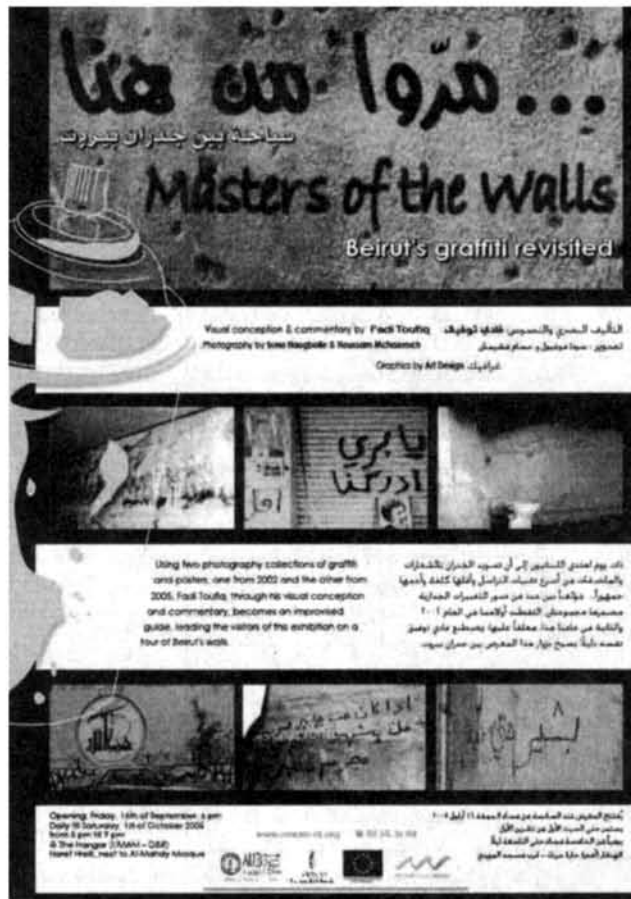


# «أمم» تنكأ جراح الذاكرة وتسائل الحروب

بيروت - بيار أبي صعب

■ كان الجو غير اعتيادي مساء أول من أمس في «الهنغار» التابع لمركز «أمم للتوثيق والأبحاث» في حارة حريك (الضاحية الجنوبية لبيروت)، حيث افتتح معرض فوتوغرافي بعنوان «... من هنا - سياحة بين جدران بيروت». وهذه السياحة ليست من البراعة في شيء، بل تمثل خطوة جديدة («تصعيدية») في مشروع طموح، وجريء، أطلقه لقمان سليم ومونيكا بورغمان ورفاقهما قبل أشهر، يهدف إلى استعادة الذاكرة المحوّة للحرب الأهلية اللبنانية... الذاكرة المطموسة، الذاكرة المكبوتة، تلك الهوية الشاهقة التي تعتمل فيها كل أهواء حرب أهلية كامنة... سارع الخطاب الرسمي إلى تجاوزها وإفقالها» على عجل، كما يقفل بعض ملفات التحقيق المتعلقة بالقضايا الشائكة، في بلاد لا تعرف العدالة ودولة القانون. ولعلّ هذا المكبوت الذي لا تريد الجماعة مواجهته في بلد «الحروب الأهلية الدائمة» بحسب عنوان كتاب شهير للزميل وضاح شرارة، هو مصنع كل الفتن والانقسامات المقبلة... من هنا أهمية وجود «مركز توثيق وأبحاث» معني بتجميع ذاكرة الحرب وارشفتها وتقديمها مادة للبحث والدراسة والنقاش، بشيء من التجريسية والاستفزازية الصحية في نهاية المطاف: اعتمدوا في ذلك على لقمان سليم! هكذا حقق سليم وبورغمان (مع هـ. تايسن) فيلماً إشكالياً - استقبل باهتمام في مهرجان برلين الأخير - يدور حول بعض قتلّة مجازر صبرا وشاتيلا بعنوان «مقاتل» (بدلاً من «مجازر» Massacre، ولقمان سليم معروف باجتهاداته اللغوية، وعلاقته الخاصة بالفصاحة العربية، وهي تنعكس على كل أدبيات «أمم» ومنشوراتها). ثم نظمت «أمم» معرضاً فوتوغرافياً بعنوان «قصص بغدادية»، وورشّة عمل فوتوغرافية/ ثقافية/ تربوية مع فتيان وفتيات من مختلف الطوائف والمناطق اللبنانية، هدفه التعرف إلى «الأخر»، ومواجهة «سرطان الطائفية» البغيض والغوص في روايته وجذوره.

وها هو المعرض الفوتوغرافي الجديد الذي يمهد لأسبوع من العروض السينمائية في «مسرح المدينة» (٢٠ - ٢٥ أيلول/ سبتمبر) بعنوان: «حروب ذوي القربى، هنا



وهناك - أياماً وروايات» بفتح في مركز أمم، في قلب الضاحية الجنوبية (دارة محسن سليم). الجدار الخارجي الذي يشكّل سور الـ «هنغار» لم يبق طويلاً على بياضه الناصع. إذ وضع بتصرف الزائرين، أدوات رش من كل الألوان، لكتابة ما طاب لهم من الشعارات... أسوة بما كان يكتب على جدران المدينة، وما زال يكتب طبعاً، وإن دارت الأحوال وتغيّرت الظروف. إنّها «أسرع تقنيات الرسائل»، ولسان حال جماعة معينة، كما يلاحظ فادي توفيق صاحب التصوير العام للمعرض، وكتب نصوصه «السجالية» إلى أبعد حدود.

يدمج المعرض صوراً لباحثة بريطانية هي سونا هوغبول (ناقشت في جامعة أوكسفورد رسالة ماجستير عن «الذاكرة الجماعية للحرب الأهلية في لبنان»)، سبق أن التقطت قبل ثلاثة أعوام في بيروت، وعرضت في جامعتها الأميركية، وصورة راهنة - قابلة للتجدد كل يوم - لجدران بيروت وشعاراتها، بعدسة مصوّر لبناني شاب هو حسام مشينش. وإذا بالزائر أمام بانوراما صاخبة لشعارات وكتابات وصور وملصقات ورسوم وأجزاء كاملة

المسافات بين جدار وآخر، أن «يقراً» الصور، ويلتقط شحاناتها، ويؤلف في وعيه بين التناقضات... فالتعليقات والشروحات التي توأكب الصور أبعد ما تكون عن الحيادية، وأقرب إلى الفكر «الموجّه» الذي يدينه على الأرجح لقمان سليم ورفاقه (تعاطف مع «القوات اللبنانية»، وسخرية من «أمل» و«حزب الله»).

أن التعليق المرافق للمادة البصرية، وهو مكتوب ببلغة وحذقة، ينقل للأسف، بفصاحته وجذبيته وانحيازه المفرط، وذاتيته المتطرفة، ينقل على الصور المعروضة، بدلاً من أن يضيف إليها. كأننا أمام «توجيه» أيديولوجي للمتلقّي، يسحب منه المبادرة، ويصادر قراءته النقدية. تماماً كما نجد أنفسنا، في المسرح العربي، أحياناً، أمام عرض الفنان الواحد الذي كتب النص، وعاد فوضع الرؤية الإخراجية ليعيد «قول» ما يتضمنه النص، وقام بنفسه بإداء الدور الأساس.

الأ يخشى أن يحول هذا التوجّه مشروع «أمم» المعني بأرشفة ذاكرة الحرب، من جهد مترفع عن المصنعة يحاول أن يفهم، إلى طرف معلن في حرب أهلية متواصلة باشكال شتى... لكن ذلك لا يلغي بأي شكل، طرافة المشروع، وجراته وضرورته. ننصّر لقمان سليم برد باسم: «هذا قصدي: أن أحرص على طرح الأسئلة والسجال».

وهذه الأسئلة وغيرها، ستطرحها على الأرجح الندوات اللتان ستنظمان على هامش الأسبوع السينمائي في «مسرح المدينة» (٩/٢٤): «حروب الأهل: عقدة قتل وطلاقة الوجد» بمشاركة أن أغيون، محمد أبي سمرا، بيتر فالدمان، تيودور هانف، (إدارة: فرانك ميرميه)، و«العفو، العدالة الذاكرة»، بمشاركة حميد بوزسلان، سيلفان بيردغون، نزار صاغية، عبد الرحمن موسوي (إدارة وضاح شرارة). ويعرض أسبوع الأفلام الوثائقية: «المزور» لشلونودورف عن الحرب اللبنانية، «الحرب ملاء البال» (إقليم كوسوفو بعيون أطفاله)، «ولا من يحزنون» من إخراج لوران بيكو رينار (عن البوسنة)، «الغربان البيض» أخراج تمارا ترامب وجوهان فايند (الشيشان)، «العائلة التي تلزم الصمت تقتل» لأن أغيون (رواندا)، «حتى السلاحف تطير» لبهم قبادي (كرديستان)، و«مقاتل» للثلاثي سليم - بورغمان - تايسن (مجزرة صبرا وشاتيلا).

من تاريخ الحرب الأهلية: من «يشير حيّ فينا»... إلى «يا بري أركنا» (وطبعاً وصولاً إلى ١٤ شباط، و١٤ آذار وما تلاهما).

يتذكر فادي توفيق كيف راح أهالي منطقتي البسطة والجميزة يتراسلون سياسياً على «الترامواي» غداة أحداث ١٩٥٨، إذ «كان الترامواي إذا عبر منطقة البسطة متجهاً إلى الجميزة حُمّل شعارات منددة بكميل شمعون، ليلاقيه أهل الجميزة بمسح شعارات أهل البسطة واستبدالها بشعارات معادية لعبد الناصر». ويلاحظ «أن التنازع بين حزبين وتيارين سياسيين على جدار شارع واحد، أسس من مخلفات زمن مضى واندر، وهذا مما لا يمكن رده بحال من الأحوال إلى شعور مدني تخلقت به الأحزاب السياسية اللبنانية (...)» «بل إلى كون «المنازعة لم تعد واردة بعدما أمست الإقامة المشتركة بين الواحد وضده متعذرة بفعل الحرب التي كان الفرز السكاني الطائفي السياسي أحد أبرز ثمراتها».

لكن منظمي معرض «أمم»... مروا من هنا، لا يتركون للصور أن تتكلم عن نفسها، أن توصل خطابها... وللزائر أن يقيس